

بسم الله الرحمن الرحيم

برنامج حياة الشباب في صدر الإسلام

الحلقة التاسعة والتسعون

البخاري (رحمه الله)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد : -

أيها المستمعون الكرام، معشر الشباب ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، نقف اليوم مع طرف من حياة فتى من فتيان الإسلام ، ذلك الفتى الذي أعجب المحدثين فكتبوا عنه وحكموه في الحديث ولم يجاوز الثامنة عشرة من عمره ، إنه محمد بن إسماعيل البخاري (رحمه الله) .

كان البخاري (رحمه الله) يرغب في الصبر على طلب العلم والحديث ، يقول محمد بن أبي حاتم أُملى البخاري يوما علي حديثا كثيرا فخاف ملالي فقال طب نفسا فان أهل الملاهي في ملاهيهم وأهل الصناعات في صناعاتهم والتجار في تجاراتهم وأنت مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقلت ليس شيء من هذا يرحمك الله إلا وأنا أرى الحظ لنفسي فيه .

نعم فرق بين مع يعيش مع كلام الله ، وكلام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وصحابته الكرام ، ذلك الكلام الذي يجلب النفع للشباب في الدنيا والآخرة ، وبين آخر يعيش مع ملاهيهم ، أو حتى مع تجارته وصناعته ، وإن كانت التجارة والصناعة لا تخلوا من النفع لأصحابها إلا أن نفع كلام الله ورسوله فوق كل نفع .

وكان البخاري (رحمه الله) يحذر من الدنيا وزينتها ويخشى منها ، ويقول في ذلك : ما أردت أن أتكلم بكلام فيه ذكر الدنيا إلا بدأت بحمد الله والثناء عليه .

ولم يكن رحمه الله يعجب بالدنيا مهما تزخرت وتزينت ، ويحكي ابن أبي حاتم ضيافته في بستان فيقول : ضيفه بعض أصحابه في بستان له وضيفنا معه فلما جلسنا أعجب

صاحب البستان بستانه وذلك أنه كان عمل مجالس فيه وأجرى الماء في أنهاره فقال له يا أبا عبد الله كيف ترى؟ فقال هذه الحياة الدنيا .

هذه هي الدنيا فهي زائلة وزائل ما فيها ، وسيقف الإنسان أمام ربه يوم القيامة يسأل عنها ، فلا يغتر الإنسان بها مهما تزخرفت القصور ، ومهما تجملت المزارع والاستراحات ، فهي لا تعدو كونها عرضاً زائلاً من الحياة الدنيا ، وقد حذر المولى سبحانه من الاغترار بالدنيا حين قال (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَاحْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٌ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ) .

والدنيا وإن تزخرفت ليست هي التي تقرب الإنسان عند ربه وإن قربته عند الناس ، إنما الذي يقربه عند ربه الإيمان والعمل الصالح ، يقول المولى سبحانه (وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جِزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ) .

وكيف كان سلوك أبي عبد الله مع غريمه ، يقول محمد بن أبي حاتم : كان لأبي عبد الله غريم قطع عليه مالا كثيرا فبلغه انه قدم آمل ونحن عنده بفربر فقلنا له ينبغي أن تعبر وتأخذه بمالك، فقال: ليس لنا أن نروعه ثم بلغ غريمه مكانه بفربر فخرج الى خوارزم فقلنا ينبغي أن تقول لأبي سلمة الكشاني عامل آمل ليكتب إلى خوارزم في أخذه واستخراج حقلك منه فقال إن أخذت منهم كتابا طمعوا مني في كتاب، ولست أبيع ديني بدنياي فجهدنا فلم يأخذ حتى كلمنا السلطان عن غير أمره، فكتب إلى والي خوارزم فلما أبلغ أبا عبد الله ذلك وجد وجدنا شديدا وقال لا تكونوا أشفق علي من نفسي وكتب كتابا وأردف تلك الكتب بكتب وكتب إلى بعض أصحابه بخوارزم أن لا يتعرض لغريمه الا بخير فرجع غريمه إلى آمل وقصد إلى ناحية مرو فاجتمع التجار وأخبر السلطان بأن أبا عبد الله خرج من طلب غريم له فأراد السلطان التشديد على غريمه وكره ذلك أبو عبد الله وصالح غريمه على أن يعطيه كل سنة عشرة دراهم شيئا يسيرا وكان المال خمسة وعشرين ألفا ولم يصل من ذلك المال إلى درهم، ولا إلى أكثر منه .

إن طلب الإنسان حقه ومقاضاة غريمه أمر مشروع له ، ولكن أبا عبد الله (رحمه الله) من شدة ورعه ترك غريمه ولم يأخذ حقه مع إلحاح أصحابه عليه ، وما كان ذاك منه إلا زهداً في الدنيا ورفقاً بالغريم .

وفي خبر عن والده في جانب الورع ، يقول أحمد بن حفص دخلت على أبي الحسن يعني إسماعيل والد أبي عبد الله عند موته فقال لا أعلم من مالي درهما من حرام ولا درهما من شبهة قال أحمد فتصاغرت إلي نفسي عند ذلك ثم قال أبو عبد الله: أصدق ما يكون الرجل عند الموت .

ولعل هذا الوصف لمال إسماعيل والد أبي عبد الله كان له الأثر الكبير في نشأة الولد تلك النشأة المتميزة ، فقد تربى على المال الحلال من مال والده ، فما انتفع به من مال عن طريقه كان حلالاً ، وما اكتسبه بنفسه فقد عرفنا حاله .

وهذا الخبر موجه إلى الآباء فإن الكسب الحلال يورث البركة في الأهل والولد فينشأ الولد على الحلال، مما يكون له الأثر الكبير على صلاحه بإذن الله .

ويضرب البخاري (رحمه الله) مثلاً في ورعه للتجار، قال بكر ابن منير : حمل إلى البخاري بضاعة أنفذها إليه ابنه أحمد فاجتمع بعض التجار إليه فطلبوها بربح خمسة آلاف درهم فقال انصرفوا الليلة فجاءه من الغد تجار آخرون فطلبوا منه البضاعة بربح عشرة آلاف فقال إني نويت بيعها للذين أتوا البارحة .

هذا الموقف الجليل فيه عبرة وعظة لتجار المسلمين ، فإن البخاري رحمه الله لم يتفق مع الجماعة الأولى على بيع البضاعة ، ولكنه نوى بنفسه ذلك وربما كانت نيته بعد انصرافهم عنه ، وهم لم يعلموا بتلك النية ، ومع هذا فإن هذه الحال لم تجعله يطمع في خمسة آلاف لبيعها على الجماعة الثانية ، فأثر أن يمضي فيما نوى على أن يكسب خمسة آلاف ، فإين هذا من التجار الذي يتحايلون ويسلكون السبل المعوجة من أجل مزيد الكسب ولو كان يسيراً .

لاشك أن ما في قلب البخاري (رحمه الله) من التقوى والورع دفعه إلى مثل هذا التصرف النبيل ، فلعل التجار في بلاد المسلمين يدركون مثل هذه التصرفات التجارية الجميلة التي تكسبهم ربح الآخرة قبل ربح الدنيا .

أيها المستمعون الكرام ، معشر الشباب ، في الختام نسأل المولى جل وعلا أن يلهمنا رشدنا ، وأن يوفقنا لصلاح ديننا ودنيانا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وإلى أن ألقاكم أستودعكم الله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .